وقفة: مع الدنيا

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: ﷺ **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**ـــ، رواه البخاري.

يشير هذا الحديث النبوي الشريف إلى وجوب قصر الأمل في الدنيا، وعدم التعلق بها، وعقد الآمال الزائلة عليها، لأن عابر السبيل لا يطيل المكوث، ولا يرضى تدنيس صورته أمام من يمر بهم، عابر السبيل يعي جيدًا بأنه في ممر، وأن له بعد الممر مستقره الذي يبغي.

فهيا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قصروا الأمل، واستعدوا لبغتة الأجل، فما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل،{وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾} [المنافقون: ١١].

انظروا إخوتي إلى الدنيا نظر نبيكم صلى الله عليه وسلم إليها، تأملوا قوله وهو يقول: ﷺ **مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها**ـــ، رواه البخاري وأحمد.

وكان ذلكم الصحابي الجليل، عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)، ووالله إنها كلمات من عرف حقيقة الدنيا، وما الذي ينبغي تجاهها، صدرت من نفسٍ سمت عن التعلق بالدنيا الفانية، ولذاتها العابرة، وشهواتها الزائلة، كيف لا وهي كلمات ابن عمر رضي الله عنهما؟

وهذا أبو ذر الغفاري رضي الله عنهما يدخل عليه رجل، فجعل الرجل يقلب بصره في بيت أبي ذر، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتًا نتوجه إليه، فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت

هاهنا، فقال أبو ذر: إن صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا.

الله أكبر، ما أجمل هذا الكلام لمن تعقّله وتدبره، وفهم مراميه، وحاسب نفسه قبل أن ترديه.

فهؤلاء أيها الإخوة باعوا الدنيا من أجل الآخرة، والآخرة خير وأبقى، فكونوا معاشر الشباب من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

إذا نظرت أيها الحبيب بعين البصيرة، لرأيت كم هم الذين أسكرتهم الدنيا ببريقها الخادع، وسرابها الجذّاب، وشغلتهم عن الآخرة، حتى ماتوا بغتة وعلى حين غرة، فهلكوا وأصبحوا من النادمين، لم تنفعهم يومها أموالهم، ولا أولادهم، ولا مناصبهم،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦].

ولله در القائل:

سبيلك في الدنيا سبيل مسافرٍ ::: ولا بدّ من زاد لكل مسافرِ

فأبناء الدنيا كلهم مسافرون، وعلى الله يوم القيامة سيعرضون، وبين يديه سيقفون، وسيقال لكلهم:{وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾} [الصافات: ٢٤، ٢٥].

قال بعض الحكماء: (كيف يفرح الإنسان بالدنيا، ويومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وحياته تقوده إلى موته؟).

فعليك أيها المسلم الصادق، عليك ألا تستكثر من طلب متاع الدنيا حتى تشغلك، وتلهيك عما خلقت لأجله، أنسيت أنك لم تخلق للدنيا، وإنما خلقت لأجل عبادة الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

قف وقفة تأمل مع الدنيا، تأمل كيف ذهب الأولون، أين الأمم

الماضية، والقرون الخالية، أين الذين تمتعوا بالملذات والمشارب، أين الذين تاهوا على الخلق كبرًا وعتيًا، أين الذين تبخترروا في الحلل بكرة وعشيًا، فأين فرعون، وقارون،.... وغيرهم، وغيرهم كثير.

إنها الدنيا الفانية، الدنيا الزائلة، لا يصفو حالها، ولا يقر قرارها، يسعى طالبها ليل نهار فلا ينال منها شيئًا، وسبحان الله العظيم: {وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾} [الكهف: ٤٥].

يا شباب الإسلام: كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يدركه، فها هو الهاتف ليل نهار ينادي يا ابن آدم: اغتنمني لعلي لا أعود لك إلى يوم القيامة.

فيومك يومك، وليلك ليلك، بادر بالأعمال الصالحة، واعلم إنما أنت أيام، وإذا ذهب يوم ذهب بعضك.

وقفة بعقلك تجد نفسك قد تركت الدنيا، وقد تعلق قلبك بما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

سبحان العليم:{ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾} [الحديد: ٢٠].

وليس يعني ذلك على الإطلاق، أن يعيش المسلم بلا عمل يجني من ورائه قوت يومه، ويُؤمن فيه ما يساعده على الحياة، بل إن العمل على تأمين ذلك مطلوب شرعًا، قال الله تعالى:{وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ} [القصص: ٧٧].

وتذكر أيها القارئ الكريم، قول الله تعالى حكاية عن مؤمن قوم

فرعـــــــون:{يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾} [غافر: ٣٩].

* * *